الإيحاءات السردية و المعرفية في السيرة الذاتية

كتاب"المنقذ من الضلال"لأبي حامد الغزالي أنموذجا.

The Epistimological and Narrative underpinnings in Abu Hamed alGazali's autobiography
"The Deliverer from Deviance as an example".

محمد سالمي / طالب دكتوراه
أ.د. امحمد بن لخضر فورار

قسم الآداب واللغة العربية- جامعة محمد خيضر- بسكرة(الجزائر)
salmimoh1986@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/09/02 تاريخ القبول: 2019/12/19

ملخص:

تعد سيرة أبي حامد الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" من أهم السير الذاتية في التراث العربي الإسلامي، والتي مثلت أنموذجا واضحا للسيرة الذاتية المعرفية، إذ جمعت جوانب عديدة من سيرته الذاتية وأزمته النفسية و ممارسته النقدية للاتجاهات المعرفية، وهذا ضمن نسق سردي واصف، ويمثل أبو حامد الغزالي نقطة التقاء بين عديد من المذاهب الفكرية والاتجاهات المعرفية المتناقضة، و لذلك آثرنا دراسته في هذا المقال، والتركيز على أهم الجوانب السردية والمعرفية التي شكلت معالم سيرته الذاتية في كتابه الشهير" المنقذ من الضلال".

الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية؛ السرد؛ المعرفة؛ الوصف؛ الهوية؛ الغزالي.

Abstract:

The autobiography of Abu Hamed al-Ghazali in his book "The Deliverer *from Deviance "is seen as one of the most important biographies in the Arab-islamic traditions, which has represented a typical example of epistemological biographies in our Arab-islamic heritage. It has combined many aspects of abu Hamed's biography, his intellectual and psychological crises as well as his critique of the different epistimological trends and methods of his time, All in a narrative-descriptive style.The character of abu Hamed thus represents the meeting point of many intellectual doctrines and epistimological trends which were prevalent then. Therefore, we chose to study this autobiography and focus especially on the most important narrative and intellectual aspects that shaped the overall format of his book "the Deliverer from Deviance " .*

***key words**: Autobiography; Narration; Epistemology; Desceiption; Identity; al Ghazali.*

مقدمة:

تعد شخصية الإمام أبي حامد الغزالي (450-505هـ)، من أعظم الشخصيات في التراث الإنساني عموما، وفي التراث العربي الإسلامي خصوصا، وهذا من خلال الأثر العلمي والمعرفي الكبير الذي خلفه وراءه، ونحن نعتقد اعتقادا جازما أن هناك كثيرا من المتكلمين والأصوليين والمتصوفة والفلاسفة سواء من أهل المشرق أو المغرب كانوا على دراية واسعة بفكره وآرائه، وقد تأثروا به تأثرا واضحا وعميقا.

وفي الحقيقة كان لشخصية الغزالي تأثير واسع على جميع التيارات والمذاهب والفرق في زمانه، مما جعله منارة للمعرفة في عصره، فهو المنطقي، والمتكلم، والمتصوف، والفيلسوف، وحجة الإسلام، وفريد عصره، ووحيد دهره، وانطلاقا من هذا التصور يمكن القول أن مكونات فكر الغزالي هي" مكونات الثقافة العربية الإسلامية كلها، بمختلف منازعها واتجاهاتها وتياراتها، ذلك أن الغزالي لم يكن مرآة انعكست عليها ثقافة عصره وحسب، بل لقد كان أيضا ساحة التقت عندها مختلف التيارات الفكرية والأيديولوجية التي عرفها الفكر العربي الإسلامي إلى عهده"1، ولعل أبرز هذه التيارات هي علم الكلام و الفلسفة والتصوف و التأويلية الباطنية، وقد شكلت نسقه الفكري العام.

وبهذا جمع الغزالي بين نظم معرفية متصادمة: البيان و البرهان والعرفان 2، وبين تيارات فكرية متناقضة: علم الكلام و الفلسفة و التأويلية الباطنية و التصوف، مما جعله يمارس "عملية التفكيك وإعادة توزيع القطاعات المعرفية في الثقافة العربية بوعي وبصورة ممنهجة"3؛ ولكن هذه العملية ولّدت لديه أزمة نفسية روحية، وحيرة فكرية عميقة، كانت سببا مباشرا في عزلته التي دامت إحدى عشرة سنة.

وعلى هذا الأساس تتجلى لنا بعض جوانب شخصية الغزالي المتقلبة والمتناقضة والمتداخلة بين هذه النظم المعرفية المتصادمة، لذلك لا يستطيع القارئ الاطلاع على فكره وآرائه دون المرور على كتابه الشهير" المنقذ من الضلال"، والذي حقق من خلاله امتزاج السيرة الذاتية بالأزمة النفسية من جهة، وبالتجارب المعرفية من جهة أخرى، فقد كان يضمن "السرد بالنظرية أكثر من مرة وبأكثر من طريقة، فهو ذاته كان يدس محنته الشخصية ونزاعاته الوظيفية في طيات بحوثه التخصصية "4، ومن هذا المنطلق تولدت لدينا بعض التساؤلات حول التداخلات السردية والمعرفية داخل هذا الكتاب؟ وما هي أهم المسالك التي أختارها

السرد لتحقيق البعد السيري الذاتي؟ وما هي أهم الاتجاهات الفكرية التي حققت البعد المعرفي؟

1. الغزالي وغرضه من كتابه" المنقذ من الضلال":

يعد كتاب" المنقذ من الضلال" مرآة الباحثين والدارسين لفهم شخصية الغزالي وتطورها الفكري، مع أن هذه الشخصية من الشخصيات القلقة5في التراث العربي الإسلامي، التي أختلف في شأنها وتضاربت الآراء والأحكام حولها بين مادح وقادح، ولا سبيل لفهم شخصيته وفكره إلا بالرجوع إلى كتابه " المنقذ من الضلال"، فمعظم الباحثين دأبوا على القول بأن هذا الكتاب سيرة ذاتية معرفية روحية، وتجربة فلسفية في رحلة البحث عن الحقيقة، والمتأمل لصفحات هذا الكتاب يدرك هذه المعاني بوضوح جلي.

ويتكون كتاب " المنقذ من الضلال" من تمهيد يوضح فيه سبب تأليفه له، ثم مدخل في إبطال السفسطة وجحد العلوم، ويليه القول في أصناف الطالبين، الذي يتضمن"وصفا للمراحل الأربع التي شكلت تكونه الفكري، وهي :التكلم، والتأويل، والتفلسف، والتصوف"6، ثم خاتمة في بيان حقيقة النبوة الموصلة للعرفان الصوفي.

وعليه سنحاول دراسة كتاب"المنقذ من الضلال" باعتباره سيرة ذاتية معرفية متمفصلة على قسمين (سرد الذات و سرد المعرفة)، مع انفتاحه على بعد نقدي معرفي للتيارات الفكرية التي سادت عصره.

2. السيرة الذاتية والنسق المعرفي في كتاب" المنقذ من الضلال":

إن السيرة الذاتية بوصفها جنسا أدبيا أصيلا في تراثنا العربي الإسلامي، إذ"يتكفل أصحابها بكشف تكونهم الفكري، وتطورهم الروحي، والثقافي بشكل عام، وهو ما جعلها ترتبط بالفلاسفة، والعلماء، والفقهاء، والمؤرخين"7، وبهذا أفادتنا السيرة الذاتية الاقتراب من "أنا" كاتبها، ومن ذاتيته، ومن "فهم كينونة شخصيته وكيفية تشكلها ضمن السياق الزماني و المكاني الذي تفاعلت معه" 8.

وبما أن السيرة الذاتية متعلقة بالأنا، و"الكشف الذاتي عن جانب من جوانب الحياة الشخصية "9، يعرفها فيليب لوجون (*lejeune philippe*) أنها "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته "10، فإنها بهذا عمل أدبي سواء أكانت رسالة أم رواية أم "قصيدة أم مقالة فلسفية،... الخَ، قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو صريح إلى رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم إحساساته"11، فهي خطاب عن الذات مكتوبة بطرق متنوعة، "يصوغها صاحبها في صورة

مترابطة، على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح كما سلف وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كاملا، عن تاريخه الشخصي"12وتجربته الحياتية الذاتية على نحو تصويري و تخييلي للماضي المعيش .

ونجد أن تراثنا العربي الإسلامي زاخر و حافل بهذا النمط من السيرة الذاتية، ومنه شكلت السيرة الذاتية بابا ضخما في الأدب العربي القديم 13، ولعل أول سيرة ذاتية يذكرها الباحثون، ما رواه سلمان الفارسي (36-656)عن نفسه، وأسندها الخطيب البغدادي إلى ابن عباس (68-687) في كتابه "تاريخ بغداد"14، وبعد هذا نلفي إقبالا على السيرة الذاتية، والتي جنح فيها أصحابها إلى إبراز تكوينهم الفكري والديني، حيث ظهر عدد كبير من السير مثل سيرة الواقدي(206-821) التي أوردها ابن سعد في كتابه " الطبقات الكبرى"، وسيرة الرازي، وابن سينا، وابن رضوان، والغزالي، وابن طفيل، وابن حزم الظاهري، و ابن خلدون... وغيرهم15، ولعل سيرة الغزالي في كتابه " المنقذ من الضلال " من أهم السير الذاتية في تراثنا العربي الإسلامي، كونها تلخص لنا الهدف الأساسي للسير الذاتية المبكرة، والمتمثل في الكشف عن طرق "وصول الشخص إلى الإيمان بمذهب من المذاهب، أو دين من الأديان"16، والتي يعتبرها المستشرق "فرانز روزنتال" النقطة الرئيسية في السير الذاتية القديمة، بالإضافة إلى كونها تتجه إلى إبراز التكوين الفكري والعقائدي للمؤلف، وتظهِر طبيعة تحولاتهما داخل نسق سردي واصف.

1.2 السرد والبحث عن اليقين:

يقرر الغزالي " الأنا السارد" منذ البداية، أن من دواعي وأسباب تأليفه كتاب"المنقذ من الضلال"، في كونه جوابا عن تساؤل من أحد أصدقائه، على حد قوله: "فقد سألتني أيها الأخ في الدين "17، فهذه الافتتاحية بصيغة المخاطب، تجعلنا نتوقع سجالا فكريا، إذ ليس للغزالي "الأنا السارد" رغبة في كتابة سيرته، لولا وجود هذا التساؤل، وكأن هذا التساؤل هو المحرك الأساسي للكتابة.

وإلى جانب افتتاحيته بصيغة المخاطب كما أسلفنا، نجده " الأنا السارد" يستخدم صيغة المتكلم، ويتضح لنا من خلال هذا "وعي الغزالي بميثاق السيرة الذاتية الذي يحتم الاندماج بين المؤلف الواقعي، والسارد، والشخصية الرئيسة، في عودته الدائمة بعد كل استطراد للظهور بصوته الخاص بضمير المتكلم"18، وهذا لينقل عالمه الخاص للقارئ ويكشف عن هويته السردية و يُظهِر الوضع المعرفي(الابستمولوجي) لسيرته الذاتية19، يقول الغزالي"الأنا السارد": " فقد سألتني أيها الأخ في الدين، أن أبث إليك غاية العلوم و أسرارها، وغائلة المذاهب و أغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين إضراب الفرق[...] وما استفدته

أولا من علم الكلام، وما اجتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف،وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف[...]فابتدرت لأجابتك إلى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك"20.

وأمام هذه الفاتحة النصية (*incipit*)، التي تعتبر "نقطة نصية تبدأ من العتبة المفضية إلى التخييل، وتنتهي بحدوث أول قطيعة هامة في المستوى النص، فهي موضع إستراتيجي في النص"21، تلخص لنا مقاصد الكتاب ككل، أنها "خلاصة سردية " تعرض موجزا سريعا للوضع المعرفي الذي عاشه الكاتب "الأنا السارد" دون التعرض للتفاصيل.

ونجد أن هذه الفاتحة النصية تمزج بين صيغتين (المخاطب/ المتكلم)، وأن هذا التغيير في الصيغة له دور في إحداث نوع من التأثير والتفاعل بين القارئ والنص، وتعضيدا "لنقل المشاعر وجعل المتلقي مشاركا للغزالي في قناعته، فالغزالي يدخل المتلقي في زمنه الخاص، زمن النص"22، مما يعطي للمتلقي قدرة على إنتاج معان مختلفة ومغايرة، وبناء عالم متخيل بطله(الأنا السارد)الذي لا يمل ولا يكل في بحثه عن اليقين، يقول السارد: "ولم أزل في عنفوان شبابي، وريعان عمري منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور[...]وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان شبابي"23.

واللافت للانتباه ونحن أمام هذه الفاتحة النصية، المزاوجة بين تقنيتين" السرد الاسترجاعي والسرد الاستشرافي"، فالاسترجاع "يروي للقارئ فيما بعد، ما قد وقع من قبل"24، باعتبار أن الغزالي يسرد أحداث سيرته الذاتية من نقطة النهاية؛ وهي" لحظة تسجيل السيرة و تدوينها، بطلب من أحد أصدقائه المقربين، وأجمل ذكر مراحلها من بدايتها إلى نهايتها [...] ثم أخذ يسترجع تفاصيل كل مرحلة في صورة استرجاع داخلي يحكي فيه تجربته مع كل مذهب وعلم"25، بالإضافة إلى بروز تقنية "السرد الاستشرافي" والتي تستعمل " للدلالة على كل مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثا سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها"26، خاصة ونحن أمام سيرة ذاتية تروى بضمير المتكلم، حيث يتماهى صوت السارد بصوت الكاتب الحقيقي لتبدو سيرته أكثر واقعية، ويجعل منها تتلاءم مع "الاستشراف لطابعها الاستعادي المصرح به بالذات، الذي يرخص للسارد في تلميحاتها للمستقبل ولاسيما وضعه الراهن"27، وللتطلع إلى ما سيحصل مستقبلا، يقول "الأنا السارد": "وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق من لباب الحق"28، فالسارد يطلعنا منذ البداية على آخر محطة له، وما ارتضاه من منهج في نهاية سيرته المعرفية و الفكرية، فبعد الخوض في غمار الفرق والطوائف، والغوص في غائلة المذاهب والعقائد، انتهى إلى " التصوف" على أنه " لباب

الحق" وبهذا يظهر في تعبيره" لباب الحق بالألف ولام الحصر، هو أن لب الدين و جوهره هو التصوف"29، ويتضح لنا من هذه العبارة وظيفة الاستشراف، من حيث أنه " بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي"30، فهذا الاستشراف والمتمثل في انتصار السارد لمذهب المتصوفة في آخر حياته، هو توقع صريح لما سيأتي، وهو عين ما سوف ينتهي إليه السارد في أواخر سيرته من انتصاره لمذهب المتصوفة.

ونجد أن هذه الفاتحة النصية تمزج بين السرد و الوصف والتساؤل من أجل شد انتباه القارئ ضمن إستراتيجية توجيهية وتشويقية، محافظة بذلك على الديمومة التواصلية للسرد31، من حيث أنها تصرح بالدلالات الرئيسية للنص ككل، وتوردها بإيجاز في سعيها للإجابة عن هذا التساؤل، الذي خلق نوعا من "الانزياح عن المألوف منها لمفاجأة القارئ"32.

وتتميز سيرة الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" بخطية واستمرارية في البناء السردي، حيث تنتظم كل الوحدات السردية والحكائية برابط زمني منطقي، ووفق نظام تسلسلي تتابعي، و"بالأسلوب التحليلي القائم على العرض، والمناقشة، والتحليل"33، يضفي بنا هذا إلى تقسيمها عبر مرحلتين متتابعتين زمنيا هما:

1.1.2 مرحلة الشك :

يُعبر الغزالي تعبيرا واضحا عن مرحلة الشك الفكري، من خلال مسألة بلوغ العلم اليقيني، بقوله:" فقلت في نفسي: إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور، فلابد من طلب حقيقة العلم ماهي؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم"34، ويبقى هذا التساؤل قائما في نفسه مدة من الزمن، ولا يتوقف الأمر هنا، بل يبدأ البحث والتفتيش عن العلم اليقيني من خلال العلوم والمعارف التي حصلها سابقا، يقول السارد: "ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحسيات والضروريات"[35]، فهو بهذا "ينقد وسائل المعرفة عنده لكي يستطيع بعد ذلك أن يعتمد على الصحيح منها"36 لبلوغ اليقين في سيرته المعرفية، وهكذا تبدأ معاناته على أن جميع علومه ومعارفه التي حصلها سابقا ليست يقينية إلا في الحسيات والضروريات، وعليه فإن ممارسة الشك كانت سببا رئيسيا في أزمته النفسية.

ولكن هل ثقته بالحسيات والضروريات ستدوم أم أن ممارسته للشك ستتغلب عليهما أيضا، يقول السارد: "فلابد من إحكامها أولا لأتيقن أن ثقتي بالمحسوسات، وأماني من الغلط في الضروريات، من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليديات[...]فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضا؛ وأخذت تتسع للشك فيها" 37، وهكذا انكسرت ثقته في الحسيات و الضروريات، وهنا يتصور الغزالي "الأنا السارد" حوارا متخيلا بينه

وبين المحسوسات، فتخاطبه المحسوسات قائلة :" بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقا بي، فجاء حاكم العقلي فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي..."38، ونجده يحاور العقليات فيقول:" قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا، فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات"[39]، مما يلاحظ في سيرته "المنقذ من الضلال" أنها تخلو من المشاهد الحوارية بين الشخصيات، ويغلب عليها الحوار الداخلي، الذي يعكس الأزمة النفسية، والحيرة الفكرية، والأحاسيس الداخلية للأنا السارد، وإن "معظم الحوار في السيرة حوار آراء و عقول، ولعل ذلك راجع إلى أن الغزالي درس تلك المذاهب والعلوم من خلال الكتب، ولم يدرسها على الشيوخ والأساتذة[...] وإنما كانت المواجهات والمناقشات التحليلية والعقلية تحتدم بين الآراء على الورق في كتبه ورسائله"40، ودام على هذه الحال قرابة شهريين من الزمن، يقول: " فأعضل هذا الداء، ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال، حتى شفاني الله تعالى من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال[...]ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف"41.

وهكذا عادت الثقة إلى المعقولات و المحسوسات مقبولة، ولكن بدون نظم دليل أو ترتيب كلام، وإنما على أساس عقائدي42 قائم على "مذهب عميق واقتناع أكيد عنده، حاصله أن الله تعالى خالق كل شيء، ولا يوجد تلازمات عقلية بين الأشياء، وأما التلازمات الحاصلة بين الأشياء فهي عادية مثبتة بإرادة الله تعالى، ومن هذه التلازمات حصول اليقين بالعلوم والمعارف و الاطمئنان إليها"43، بخلاف لو افترضنا أن حل44 الغزالي هو العرفان وأن النور الذي قذفه في قلبه لتعود ثقته بالضروريات والمحسوسات مقبولة وموثوقة بها، هو يقين المتصوفة، لكان قد "حسم المسألة لصالح العرفان والتصوف"45منذ بداية الكتاب، ولكانت دراسة الاتجاهات الرئيسية الثلاثة (علم الكلام والتفلسف والتأويل) لا حجة لها ولا حاجة لنا بها، فلماذا يدرسها الغزالي؟ ومادام حسم المسألة للتصوف منذ البداية، أليس هذا مناقضا لجهود الغزالي في البحث والتفتيش عن اليقين؛ وبما أن" الضروريات العقلية قد عادت –عن طريق الحل- مقبولة موثوقا بها على أمن و يقين، وقبل ذلك عرف العلم الحقيقي بأنه يتصف باليقين المطلق الذي لا يمكن زعزعته، ولهذا فلا يمكن أن يستند الحل على مجرد إحساسات صوفية أو ما عداها من إحساسات لا عقلية "46، بل يجب أن يستند الحل إلى مذهب عميق له حجيته العقلية عند الغزالي وقد أسلفنا ذكره سابقا.

2.1.2 مرحلة البحث و النظر:

وبعد أن شفيّ الغزالي "الأنا السارد" من مرضه، نجده يحصر لنا أصناف الطالبين إلى أربع فرق هم: المتكلمين، والفلاسفة، والباطنية، والصوفية، يقول: "الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذّ الحق عنهم، فلا يبقى في درك الحق مطمع"47، وهكذا يبدأ الغزالي "الأنا السارد" في عملية النظر والبحث في هذه الأصناف الأربعة، و"كان يبني على ما خلص إليه من القطع، والتسليم بالأوليات العقلية، فهو إذن لابد أن يستعمل في نظره في هذه الأصناف الأوليات والنظر العقلي، لأنه لم يشرع في هذا البحث والنظر إلا بعد أن شفاه الله من مرض الشك"48، وهذا بغية الوصول إلى الحق واليقين المطلق الذي لا يعتريه الوهم و الشك.

ويأخذ الغزالي "الأنا السارد" بفحص وتفكيك النظم المعرفية السابقة (بيانية و برهانية وعرفانية)، وكل ذلك من أجل إرساء دعائم معرفية جديدة تتسم باليقين، ومن خلال هذا التنظير المعرفي نجد إيحاءات سردية عن طريق إقحام للذات،و الاعتراف، والبوح العاطفي، والتحولات الفكرية للأنا السارد.

ويبدأ الغزالي "الأنا السارد" بعلم الكلام ، فهو من أوائل العلوم التي حصلها وبرع فيها، يقول:" طالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علما وافيا بمقصوده، غير واف بمقصودي، وإنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة "49، وها هو يصرح بأن مقصد علم الكلام جليل وغايته نبيلة، وهي حراسة العقيدة من كل تشويش؛ ولكن مع هذا المدح و المجاملة لعلم الكلام، نلاحظ بأنه ينتقده في آخر كلامه، يقول: "ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم، واضطرهم إلى تسليمها إما التقليد، أو إجماع الأمة [...]فلم يكن الكلام في حقي كافيا، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا"50، وهكذا لم يجد "الأنا السارد" اليقين الذي كان يبحث عنه في علم الكلام، لاعتماده على طرق جدلية وبيانية، لا على طرق برهانية و عقلية.

وينتقل الغزالي"الأنا السارد" بعد فراغه من علم الكلام إلى الفلسفة، فيقبِل على تحصيلها والإحاطة بمقصدها وكلياتها ، فيطلع على ما لم يطلع عليه أهل الفلسفة أنفسهم من غور وغائلة في مذهبهم، وأحيانا يأتي الاستباق السردي" في صورة حكم سابق لأوانه، يتشوق المتلقي بعده إلى معرفة حيثياته، والاطلاع على أسبابه، فهو يستبق الأحداث في الفصل المخصص لتجربته مع الفلسفة، ويصدر أحكاما عامة عليها، قبل البدء في سرد تجربته مع كتب الفلسفة ومذهبها" 51، يقول السارد :" الفلسفة محصولها، المذموم منها وما لايذم..."52، ويقرر الغزالي "الأنا السارد" بأن السبب الرئيسي الذي من أجله تعمق في الفلسفة، هو أنه لم ير أحدا

من علماء الإسلام في زمانه، من صرف عنايته وهمته إلى ذلك، عدا بعض المتكلمين، والذين كانت ردودهم على الفلاسفة مجرد" كلمات معقدة مبددة، ظاهرة التناقض والفساد"53.

وبهذه الهمة والعزيمة يبدأ الغزالي "الأنا السارد" بحثه و نقده في علم الفلسفة، فيصنف الفلاسفة إلى ثلاثة أصناف: الدهريين، الطبيعيين، الإلهيين، ويقسم علومهم ومعارفهم إلى ستة أقسام: الرياضيات، المنطقيات، الطبيعيات، الإلهيات، السياسيات، الأخلاق، فيجد أن بعض أجزاء علم الفلسفة ما هو حق ومقبول، وله فائدته، وبعضه الآخر باطل لا فائدة منه، وخاصة في قسم"الإلهيات" حيث كثرت أغالطهم وأوهامهم وتناقضاتهم، فإن هذا الاستطراد في الحديث عن أصناف الفلسفة وأقسامها وتفريعاتها؛ ينعكس على سيرورة السرد وحركيته، إذ يعتمد الكاتب على آليات وصفية وتصورية؛ تنتج عالما محكيا يؤسس" للعلاقة الدلالية بين المحكي الأساسي، وهو تجربته الذاتية مع الفلسفة، وموقفه منها، وبين المحكي الفرعي، وهو استطراده لبيان أقسام الفلسفة وعلومها، ولكن الغزالي "الأنا السارد" كان يوقف تيار السرد تماما بوقفات استطرادية خارجة عن الموضوع، كما فعل في أثناء حديثه عن تجربه مع الصوفية، فقد قطع حديثه الذاتي، وأورد فصلا في كلام على حقيقة النبوة، ثم عاد للحديث عن تجربته الذاتية"54، فتصبح الاستطرادات الوصفية متداخلة مع السرد لتضفي بعدا فنيا على تفريعات السيرة الذاتية المحكية.

وهكذا ينتهي الغزالي "الأنا السارد" من علم الفلسفة، بأنها علم لم يوصله إلى اليقين الذي يريده، بالرغم من اعتمادها على العقل في إثبات مسلماتها، وتستمر رحلته بحثه عن اليقين، فيشرع بدراسة "الباطنية" أصحاب مذهب التعليم، فقد عظم شأنهم وكثر أتباعهم، إذ زعموا أن إدراك حقائق الأمور لا تتأتى إلا من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق، يتخذونه مصدرا للعلم اليقيني.

فيبدأ السارد بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم، ثم يقرر مذهبهم وحجتهم إلى أقصى الإمكان، ثم ينهال عليهم نقضا ونقدا في غاية البرهان، فيخلص بأن لا حقيقة ولا يقين عند هؤلاء، وهو بهذا يقول عنهم:" فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضا "55.

تتدرج سيرة الغزالي المعرفية تدرجا تتابعا منطقيا، فنجده ينتقل من مذهب إلى آخر(التكلم و التفلسف والتأويل)، ولما انتهى من المعارف السابقة، أقبل بكل همته على طريق الصوفية، فعلم أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، ويبدأ في تحصيل معارفهم و علمهم من مطالعة كتبهم مثل كتب أبي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي ... وغيرهم، ويدرك يقينا " أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال، وأن ما يمكن

تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك"56.

وتتجلى لنا ملامح السيرة الذاتية في هذا الفصل من"الطرق الصوفية" بوضوح جلي، إذ يفتتح الغزالي "الأنا السارد" فصله هذا بسرد أحواله واعترافاته الذاتية، وكيف كان منغمسا في لذات الدنيا، بعد ذلك يتردد في الخروج من بغداد إلى أن ينعقد لسانه عن الكلام، "فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا و دواعي الآخرة، قريبا من ستة أشهر، أولها رجب سنة ثمان وثمانين و أربع مائة؛ و في هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس"57، وبذلك يفارق بغداد قاصدا بلاد الشام "ثم دخلت الشام وأقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة، اشتغالا بتزكية النفس و تهذيب الأخلاق"58، ثم يرحل منها إلى بيت المقدس، إلى مكة المكرمة، إلى المدينة المنورة، ودام على هذا الترحال مدة عشر سنوات، " ودمت على ذلك مقدار عشر سنين، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها و استقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به: أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق"59، فالسارد هنا يلجأ إلى تقنية الخلاصة *sommaire* إنها حكي موجز، ومرور سريع"على بعض الأحداث، وعدم التأني في الحديث عن تفاصيلها، ومن تلك المواضيع القليلة، حديثه عن بداية عزلته، ومفارقته بغداد، وسياحته في عدد كبير من البلاد، حتى عاد إلى موطنه مؤثرا الخلوة، والانقطاع للعبادة، وهي فترة طويلة استغرقت ما يزيدعلى عشر سنين، اختصرها الراوي في عدة سطور"60 قليلة، دون إسهاب في التفاصيل.

ودام على عزلته إحدى عشرة سنة، ليعود بعدها إلى نيسابور، وذلك بعد مشاورة أرباب القلوب والمشاهدات" فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة و الخروج من الزاوية[...] ويسر الله تعالى الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربع مائة، وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة "61، وهنا نلاحظ أن السارد يلجأ إلى تقنية الحذف *ellipses* وهو "حذف فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"62، يحذف السارد من زمنية السرد إحدى عشرة سنة يقول:" وبلغت مدة العزلة إحدى عشرة سنة "63، حيث لم يذكر عنها شيئا، إلا تلميحات عن الكشوفات والمشاهدات التي عاشها بدون إحصائها واستقصائها وذكر تفاصيلها.

ويظهر لنا مما سبق، أن الغزالي "الأنا السارد" اختار طريق الصوفية للوصول إلى اليقين، وذلك عن تجربة ذاتية ومعاناة روحية، فسيرته "المنقذ من الضلال" من أهم السير الذاتية

التراثية، ولعل ما يميزها عن باقي السير الأخرى، هو الانصراف الكامل" إلى المرحلة الأخيرة من مراحل التكون الفكري، مرحلة الثبات على موقف عقائدي و فكري استخلصه"64 الغزالي في أواخر حياته، خلافا للسير الذاتية التراثية الأخرى، والتي كان أصحابها يهتمون ويولون عناية كبيرة بالمرحلة الأولى "مرحلة النشأة"، فالغزالي لم يعط مرحلة النشأة أهمية تذكر، بل بالعكس كان جلّ اهتمامه وتركيزه بالمرحلة الأخيرة من سيرته الذاتية "فصل الطرق الصوفية".

وعليه، فإن الغزالي"الأنا السارد"اعتمد في تعبيره عن الذات وحكي تجاربه الفكرية والروحية أسلوبا سرديا مباشرا مع إيراد تنويعات وصفية، فالوصف" أداة أساسية في القصة بها يُتمّم نقل الأعمال بنقل الأحوال"65، ويمتزج السرد والوصف معا، فما إن تخرج من الواحد حتى تدخل في الأخر، وهذا ما يعرف بالسرد الوصفي66، ويتعاضد من خلاله البعد المعرفي إلى جانب البعد الوصفي الذي يؤديه السرد، حيث ينقل للقارئ وبأسلوب تصويري "المشاهد بطريقة وصفية أو سردية ويتيح المجال لتصوير الأحاسيس و المشاعر الداخلية إزاء المواقف المختلفة، ولم يظهر إلا في حديثه عن بدايات تجربته الصوفية، وتصويره لحيرته، وتذبذبه بين شهوات الدنيا ودواعي الآخرة، وعدم قدرته على اتخاذ قرار حاسم"67.

وبهذا المزج بين السرد و الوصف، يتجلى لنا حضور السارد عبر تنقلات و التفاتات بين نمطين من الوظائف(وظيفة السارد و وظيفة الواصف) التي جعلت البحث في المراحل الأربع (الكلام، والتفلسف، والتأويل، والتصوف) أكثر وضوحا وتجسيدا للمعاني العميقة، إذ يرتبط البحث المعرفي بالآليات السردية و بالوقفات الوصفية، فالغزالي(الأنا السارد)يصف لنا المرحلة البحثية و ينتقدها، عبر سرد محنته الشخصية، لذلك نجده يكثر من استعمال لفظ "الحكاية" يقول:"والغرض الآن حكاية حالي"68، و قوله: "وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق"69...وغيرها، فالآليات السردية مضمنة داخل مراحل البحث وهذا بغية إدراك الحيثيات المعرفية المتراكمة والمتناثرة داخل محكي السيرة الذاتية .

وإلى جانب ارتباط الوصف والسرد بالتنظير المعرفي، فإن السارد يسلك مسلكا آخر، والمتمثل في اعتماده الاعتراف، والكشف عن الذات، والبوح العاطفي للتعبير عن الظاهرة السردية المقصودة، فالتجربة الذاتية هي المحرك الفعلي لبناء عوالم التلفظ الحكائية، التي من خلالها استطاع المؤلف إنتاج هذه المعارف و الأفكار المتناقضة؛ وعليه فإن القارئ لا يلتفت للمراحل المعرفية الأربعة السابقة إلا من خلال التجربة الذاتية، ومحنته الشخصية، والقلق النفسي والمعرفي، والمقصود بهذا كله إضفاء عنصر التشويق ضمن مراحل البحث النظري، فالسرد هنا "تجربة ذاتية" يتخذها المؤلف(الأنا السارد) وسيلة من وسائل تشكيل الذات، فالغزالي"الأنا السارد" وجد في السرد حقيقته و ذاته و وعيه، مما جعله يفهم كينونته الداخلية

أكثر من بحثه في المراحل المعرفية الأربعة70، وهكذا فإن كتاب"المنقذ من الضلال " سرد لتجربة ذاتية و محاورة للطرق المعرفية.

ويلجأ الغزالي "الأنا السارد" في تخوم الكتابة السردية و محاورة الطرق المعرفية، إلى تشكيل مقولات استعارية بأسلوبه الأدبي المتأنق الذي عرِف به، معتمدا في ذلك على التمثيل والأساليب البلاغية باعتبارهما "وهج اللغة"، وهما من الأنماط الكتابية المحبوبة لدى المتصوفة وأهل العرفان71، ومثال ذلك قوله: "وأقل درجات العالم، أن يتميز عن العامي الغمر، فلا يعاف العسل وإن وجده في محجمة الحجام"72، وقوله أيضا:" فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله، وكما أن المعزّم الحاذق إذا أخذ الحية وميز بين الترياق و السم"[73]... وغيرها كثير، فهذه الكتابة الاستعارية والتمثيلية ساهمت في خلق دلالات صوفية عرفانية، وإيحاءات معرفية أعطت للنص بعدا عاطفيا، أضفى مصداقية وواقعية على سير الأحداث، إذ يتأكد القارئ بأن هذه الأزمة النفسية التي عاشها السارد فعلا، فهي أزمة واقعية حقيقة.

3 . إستراتيجية التحبيك عبر زمنية المحكي وهوية البطل السردي:

تعد المراحل الفكرية الأربعة السابقة، من أهم المحطات الأساسية في حياة الغزالي "الأنا السارد"، فهي الهيكل العام الذي انبنى عليه بحثه المعرفي، وتبعا لذلك شكلت هذه المراحل الأربع معمارية سيرته الذاتية في كتابه " المنقذ من الضلال"، مرتكزة على عنصر السرد الاعترافي، والبوح العاطفي، والفضفضة الداخلية، والقلق الوجودي والمعرفي، للتعبير عن وعيه الذاتي ببواطن العلوم، مما جعل البحث المعرفي يتحول إلى حبكة سردية خاصة، يمتزج من خلالها البحث المعرفي والسرد الذاتي، "باعتبار الإنسان كائن سردي يريد جمع شتات مرايا هويته الخارجة من فضاء السردي إلى أرض الواقعي"74، فانزياحه نحو الكتابة السردية ضمن بحثه النظري أعطى مصداقية فنية للقارئ، فالحكاية كلها " مغامرة الإيمان والبطل فيها هو البحث والحبكة هنا هي التشكيكات وصياغة الأسئلة"75.

وعليه فإن هوية البطل السردي متعلقة برحلته الذاتية في البحث عن اليقين، فالهوية السردية متغايرة / متكاثرة، بما "يمكن للفرد أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إليها"76، وبما أن البطل السردي كانت له علاقات متعددة بفرق واتجاهات فكرية متباينة (التكلم و التفلسف والتأويل والتصوف)، فإن هويته السردية متغيرة -غير ثابتة- بتغير انتمائه لهذه الاتجاهات الفكرية، إذ تدل على نفسيته القلقة و روحه الشكية وأزمته النفسية الداخلية، لهذا " كانت الهوية السردية إعادة تشكيل للهوية الشخصية، وفهمها عبر هذا الوسيط التخييلي، غير أن النتيجة المبدئية لن تتحقق إلا عبر تفكيك الجهاز المفاهيمي للهوية الشخصية التي تريد تسريد

ذاتها"77،يقول الغزالي"الأنا السارد": "فقلت في نفسي: الحق لا يعدو هذه الاصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق"78، فالبطل السردي عاش تغييرات ذاتية داخلية- تطرح موضوع الهوية السردية المتغيرة - مصحوبة بعوامل الشك المتكرر مع كل تجربة معرفية معيشة، ومنه نستنتج أن هوية البطل السردي متغيرة ومرتبطة بالهوية الشخصية، التي هي أساسا مرتبطة بالشك الذاتي المتكرر/المتغير.

تعتبر مسألة الشك و اليقين عند الغزالي "أنا السارد" مسألة رئيسية، ظلت مسيطرة عليه طوال رحلته البحثية، مع اقترانها بنظام زمني منطقي تنتظم داخله الوحدات الحكائية، ويتداخل المعرفي بالسردي ضمن البحث النظري، مؤسسا بذلك ما يسمى بالحبكة السردية والتي تعتمد على "سرد لأحداث متسلسلة زمانيا مع التوكيد على علاقة السببية التي تجمع بين الأحداث"79، إذ يمكن أن نعتبرها تجارب إنسانية شاملة قائمة على تقسيمات زمنية، فالماضي يمثل الشك(السفسطة وجحد العلوم) والحاضر يتجسد في البحث و صياغة الأسئلة (سيد المغامرة)، أما المستقبل فيتمثل في اليقين(التصوف). وبهذه العناصر الزمانية الثلاثة التي تتألف ضمن نسق سردي واصف لتشكل سيرورة تنظيم دلالي، داخل سيرة ذاتية معرفية.

وتتصل هذه الدوائر الزمنية (الماضي والحاضر والمستقبل) في غالبها بالكتابة السردية والاعتراف الذاتي، لتجسد لنا ذاكرة القص وربط السردي بالمعرفي ضمن عوالم تخيلية متغيرة، بغية استظهار سيرة ذاتية معرفية لعقل حائر" أسره الشك و احتواه، ولم يحرره قياس المنطق ولا استدلال العقل؛ بل حرره الوجدان بما استشعره من إيمان بين تلافيف العبادة"80، فالماضي المتكلم المنطقي والمستقبل المتصوف العرفاني 81.

إن انزياح الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" نحو الكتابة السردية، ساعد القارئ على فهم النص وكشف غموضه، وإعطاء حل لمعضلة الزمن، التي" تقود فيها الفكر إلى حدود أوسع لفهم البعد الزمني في شقيه الظاهراتي والكسمولوجي، وبهذا يتأهل السرد للإجابة عن إحراجات فينومينولوجية الزمن"82، ليقوم السرد بوظيفة إفهامية بين الهوية السردية والتمفصلات الزمنية والطرق المعرفية، وهذا قصد الوصول إلى فهم أوسع لزمنية الذات بين المعرفي والمحكي و الواقعي، فالسرد يتعاضد مع التاريخ الشخصي للأنا السارد"الغزالي"، من أجل تحقيق البعد المعرفي و ذلك للوصول إلى اليقين الفكري، وعلى هذا الأساس يمكننا تقسيم زمنية الذات :

أولا: زمنية الذات بالنسبة للبعد المعرفي، والتي تتشكل عبر دوائر زمنية تفضي بنا لاستنطاق هوية البطل السردي، وذلك انطلاقا من علاقته بالمعرفة، فالماضي قوامه التقليد والخلو من العلم اليقيني، أما الحاضر فيتمثل في البحث في الاتجاهات المعرفية الكبرى، وأما المستقبل متمثل في اليقين الصوفي.

ثانيا: زمنية الذات بالنسبة للمحكي السيري، والتي تتشكل عبر دوائر زمنية لتنتج لنا تكوينات متغيرة للهوية البطل السردي والمتمثلة في الأنا السارد، فالبطل السردي في الماضي هو المتكلم والمنطقي، أما الحاضر فهو المشكك و المتلبس بثوب السفسطائي و الفيلسوف و الباطني، وبالنسبة للمستقبل فهو الصوفي العرفاني، وتدل هذه الهوية المتغيرة على أزمنة نفسية و قلق وجودي وحيرة فكرية، كانت تعصف بالبطل السردي.

ثالثا: زمنية الذات بالنسبة للواقعي، فهي ترتكز على ثبات اليقين بالنسبة للغزالي، وعندما نربط فاتحة الكتاب بالنتيجة التي انتهى إليها الغزالي في سيرته الذاتية " المنقذ من الضلال"، فإننا نلاحظ أن جميع طرق تفكيره وأساليبه الحجاجية مستندة إلى كونه متكلما، وبهذا انتهى الغزالي متكلما83واليقين الثابت هو "يقين المتكلم"، فالماضي هو المتكلم، والحاضر هو المشكك في الاتجاهات المعرفية(السفسطة والفلسفة والباطنية التأويلية)، والناقد لها بآلياته وطرق استدلالية المستمدة أساسا من علم الكلام، أما المستقبل فهو الصوفي في رداء المتكلم، وعليه فإن كلام الغزالي "الأنا السارد" في التصوف مبني أصالة على تجربة ذاتية شخصية، يمتزج من خلالها التصوف بعلم الكلام، فالتصوف الموصل إلى اليقين لا يكون إلا في رداء علم الكلام الذي حفظ قواعد الدين من كل تشبيهات وأباطيل، ومتى انفصل عنه انفصل عن الحق واليقين، يقول الغزالي"الأنا السارد" :" هذا ما أردت أن أذكره في ذم الفلسفة و التعليم وآفاتهما وآفات من أنكر عليهما لا بطريقة"84، مما يدل على أن الغزالي"الأنا السارد" لا يذم التصوف والكلام، بل الفلسفة والتعليم، ولكي لا يعرض له الغلط و الخطأ في بعض التخيلات والمشاهدات، فإنه يتخذ من علم الكلام حارسا له في ذلك، يقول السارد:"وعلى الجملة، ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ"85.

وهكذا يكتمل الكتاب باعتباره حبكة سردية تشيَد عالما محكيا ذاتيا، وتخلق أساليب تعبيرية يمتزج فيها الواقعي والنفسي والمعرفي، ضمن "عناصر الزمن الثلاثي المتكون من دوائر يضم بعضها البعض الأخر، فيكون للنص زمنه الخاص وللواقع زمنه الخاص وكل منهما منضوي تحت الأخر بواسطة المحاججة"86، التي تفصح عن أدواتها (التشبه والاستعارة والقياس و الاحتمال والجدل...) من أجل توصيف البعد المعرفي، ولبسط حقيقة الذات في بعدها الوجداني، " فهذه السيرة هي جزء من المحاججة فالسرد تجربة ذاتية و صحة الكتابة مسألة ذوقية"87، ومن ثم فإن كتاب "المنقذ من الضلال" اعتمد على المزاوجة بين السردي والوصفي و المعرفي في نسج خطاب يدعي بلوغ اليقين، ومنفتحا على تأويلات متعددة.

خاتمة :

وختاما فإن هذا البحث يهدف إلى استكشاف الجانب السردي والمعرفي في كتاب "المنقذ من الضلال"، وللتدليل على وجود نمط أصيل من السير الذاتية في تراثنا العربي الإسلامي، يتعاضد فيه السردي والمعرفي والعرفاني، وذلك من أجل إعطاء بنية نصية سردية متميزة، تتضمن تجارب حياتية، وخبرات إنسانية، ومحاورات فكرية بهدف إنتاج وعي فردي، و رؤية إنسانية متكاملة.

وقد توصل هذا البحث إلى جملة النتائج التالية:

_ كتاب" المنقذ من الضلال" سيرة ذاتية روحية معرفية، وتجربة فلسفية عاشها الغزالي"الأنا السارد" في رحلة بحثه عن الحق واليقين.

_ كتاب" المنقذ من الظلال" تجربة ذاتية متمفصلة على قسمين هما : سرد الذات (الذي يتضمن تجاربه الحياتية، ومحنته الشخصية، وأزمته النفسية، وقلقه الوجودي)، وسرد المعرفة(الذي يتضمن تجاربه الفكرية، ويكشِف عن قلقه المعرفي و وعيه الذاتي ببواطن المعارف والعلوم والمذاهب).

_ تتميز سيرة الغزالي في كتابه" المنقذ من الضلال"بخطية واستمرارية وتتابع منتظم ومنطقي للوحدات السردية، حيث اتخذت هذه سيرة أساليب متنوعة - صياغة الأسئلة، والتحليل، والمناقشة، والعرض، والمحاججة، والتمثيل، والاستعارة - وسيلة فنية ساهمت في خلق دلالات نصية منفتحة على تأويلات متعددة.

_ ترتبط هوية البطل السردي "الغزالي" برحلته الذاتية في البحث عن الحقيقة واليقين، حيث تتغير هويته باستمرار على مدى تواصل رحلته البحثية عن اليقين المعرفي، وهذا نتيجة الظروف التي أحاطت به من شك متكرر في كل مرحلة يعيشها أو تجربة معرفية يمارسها.

ويبقى كتاب "المنقذ من الضلال" نصا جامعا بين السرد والمعرفة و النزعة العرفانية والبحث عن اليقين، منفتحا على عديد من الدلالات والتأويلات والمنعطفات الفكرية الكبرى التي عاصرها الغزالي، وبهذا يعد كتابه من أهم السير الذاتية في التراث العربي الإسلامي، لما احتواه من خصائص فنية و مميزات أسلوبية وصياغات سردية ومحاورة فكرية معرفية.

الهوامش:

[1]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991، ص:161.

[2]- ينظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط9، 2009، ص:485.

[3]- المرجع نفسه، ص:489.

[4]-عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ط1، 2012، ص:19.

[5]- هذا المصطلح أورده عبد الرحمن بدوي في كتابه " شخصيات قلقة في الإسلام" ونحن بدورنا سنستعيره منه، وندخل الغزالي ضمن هذه الشخصيات القلقة.

[6]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة جديدة موسعة، 2008، ج1، ص:235-236.

[7]- المرجع نفسه، ج1، ص:232.

[8]- طيب بوعزة، ماهية الرواية، عالم الأدب للترجمة والنشر، بيروت، ط1، 2016، ص:142.

[9]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج1، ص:222.

[10]- فيليب لوجون، السيرة الذاتية (الميثاق الأدبي والتاريخ الأدبي)، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص:08.

[11]- المرجع نفسه، ص:10-11.

[12]- يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، ص:10.

[13]- للتوسع ينظر: عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج1، ص:232.

[14]- ينظر، المرجع نفسه، ج1، ص:232.

[15]- للتوسع ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص:233.

[16]- المرجع نفسه، ج1، ص:233.

[17]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الغزة والجلال، تق: عبد الرزاق قسوم، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2013، ص:19.

[18]- أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي وتشكيلاتها الزمنية، مجلة جذور، النادي الأدبي، جدة، السعودية، العدد:34، يونيو2013، ص:50.

[19]- ينظر: بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص: 251.

[20]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:19.

[21]-عبد الحق بلعابد، عنفوان الكتابة و ترجمان القراءة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2013، ص:239.

[22]-عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، ص: 24.

[23]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:20-21.

[24]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص:88.

[25]- أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي و تشكيلاتها الزمنية، ص:72.

[26]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص:132.

[27]- عبد الحق بلعابد ، عنفوان الكتابة وترجمان القراءة، ص:153.

[28]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:19.
[29]- عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، ص:23.
[30]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:132.
[31]- ينظر: عبدالحق بلعابد، عنفوان الكتابة وترجمان القراءة، ص:258-259.
[32]- المرجع نفسه، ص:258.
[33]- أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي وتشكيلاتها الزمنية، ص:51.
[34]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:21.
[35]- المصدر نفسه، ص:23.
[36]-سعيد عبد اللطيف فودة، موقف الغزالي من علم الكلام، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص:242.
[37]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:23.
[38]- المصدر نفسه، ص: 24.
[39]-المصدر نفسه، ص:23.
[40]- أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي وتشكيلاتها الزمنية، ص:51.
[41]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:25.
[42]-"إن التلازمات الحاصلة بين الأشياء هي عادية مثبتة بإرادة الله تعالى و قدرته "، هذه قاعدة يجزم الغزالي بصحتها، وهي من أصول قواعد المذهب الأشعري.
[43]- سعيد عبد اللطيف فودة، موقف الغزالي من علم الكلام، ص:261-262.
[44]- للتوسع في مناقشة حل الغزالي بين التفسير الصوفي والتفسير اللاعقلي والتفسير الفلسفي، ينظر: محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ص: 96-117.
[45]- عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، ص:27.
[46]- محمود حمدي زقزوق، منهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، ص:101.
[47]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:27.
[48]- سعيد عبد اللطيف فودة، موقف الغزالي من علم الكلام، ص:267.
[49]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:28.
[50]- المصدر نفسه، ص:28.
[51]-أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي وتشكيلاتها الزمنية، ص:76.
[52]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:30.
[53]- المصدر نفسه، ص:30.
[54]- أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي و تشكيلاتها الزمنية، ص:85-86.
[55]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال،ص:49.

[56]- المصدر نفسه، ص:51.
[57]- المصدر نفسه، ص:52.
[58]- المصدر نفسه، ص:53.
[59]- المصدر نفسه، ص:54.
[60]- أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي و تشكيلاتها الزمنية، ص:79.
[61]- أبو حامد الغزالي ،المنقذ من الضلال، ص:66.
[62]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص:94.
[63]-أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:66.
[64]- عبد الله إبراهيم ، موسوعة السرد العربي، ج1، ص:235.
[65]- الصادق بن الناعس قسومة، علم السرد (المحتوى والخطاب و الدلالة) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009، ص:289-290.
[66]- ينظر: عبدالحق بلعابد، عنفوان الكتابة و ترجمان القراءة، ص:242.
[67]- أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي وتشكيلاتها الزمنية، ص:51.
[68]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:29.
[69]- المصدر نفسه، ص:19
[70]- ينظر: عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، ص:49-50.
[71]- ينظر: المرجع نفسه، ص:30.
[72]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:40.
[73]- المصدر نفسه، ص:41.
[74]- عبد الحق بلعابد، فلسفة السرد عند بول ريكور، ضمن كتاب جماعي(فلسفة السرد-المنطلقات و المشاريع)، إشراف: اليامين بن التومي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص:47.
[75]- عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، ص:26.
[76]- عبد الحق بلعابد، فلسفة السرد عند بول ريكور، ص:49.
[77]- المرجع نفسه، ص:53.
[78]- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:27.
[79]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص:74.
[80]- طيب بوعزة، ماهية الرواية، ص:202.
[81]-ينظر: عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، ص:44-45.
[82]- عبد الحق بلعابد، فلسفة السرد عند بول ريكور، ص:48.
[83]- ينظر: تيسير شيخ الأرض، الغزالي بوجهه الحقيقي، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، العدد:03، السنة: 01، أكتوبر 1980، فالباحث من خلال مقاله هذا، يقوم بتحليل المقولة الشهيرة

"أن الغزالي انتهى صوفيا"، و من خلال تحليلاته المركزة يبرهن على العكس من ذلك، أن الغزالي انتهى متكلما لا صوفيا.

[84]-أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص:72.

[85]- المصدر نفسه، ص:55.

[86]- عبد اللطيف الحرز، السرد الفلسفي، ص:45.

[87]- المرجع نفسه، ص:45.